الفصل السابع

المسيح ومحاولات قتله

فتنة الصلب

فى ليلة هوجاء ، هبت أعاصير عاتية من الفتن والأحداث ، زاغت فى مشاهدها الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر — « **هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** » .

فى تلك الليلة خرج المسيح « **ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضا تلاميذه. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لاتدخلوا فى تجربة . وأنفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى** » .

لم يكن فيما فعله المسيح آنذاك شيء غريب . فقد « **اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه** » ، وكان المكان لهم مألوفا ، وكانت الصلاة حرفته ورضاء نفسه ، وكثيراً ما « **قضى الليل كله فى الصلاة لله** » .

لكن ما تلى ذلك من أحداث ، كان بمثابة الحجر الذى أثار بركة هادئة ، عانت بسببه اضطرابا عظيما ، واستمر ما خلفه من تموجات وتقلصات يحجب الرؤية عند البعض مآت السنين ، كما إستمر يحجبها عند البعض الآخر حتى يومنا هذا .

*

فى تلك الليلة لم يصل التلاميذ كما أمرهم معلمهم ، فدخلوا فى تجربة وفتنوا جميعا ، وتحققت فيهم نبؤته التى قالها لهم : « **كلكم تشكون فى هذه الليلة** » . فشكوا فيه جميعا وفقدوا إيمانهم ، وحينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا وهم يحملون معهم ذلك الشك القاتل .

لقد جاءت قوة الظلم لتقبض على المسيح ، جاءت فى الليل « **بمشاعل ومصابيح وسلاح** » وما أن أقتربت من فريستها وظنته فى قبضتها حتى حدث مالم يكن فى الحسبان . هناك تدخلت « **ذراع الرب** » وبيد قويه تحققت النبؤات التى سبق أن قيلت فى خلاصه :

« لأنك قلت أنت يارب ملجأى . **جعلت العلى مسكنك** لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك . .

لأنه تعلق بى أنجيه . **أرفعه** . . معه أنا فى الضيق . أنقذة وأمجده . . أريه خلاصى » .

لقد روع الظالمون بما رأوه فما كان منهم إلا أن « **رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض** » : ولما أفاقوا عقدت الدهشة السنتهم « لأنهم ابصروا مالم يخبروا به ، وما لم يسمعوه فهموه » فلقد رأوا المسيح ، عبد الله البار « يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا » — لقد كانت صدمة عنيفة وكان الأمر فتنة ...

ولقد كان على الجند واجبا أن يأتوا بالضحية ، فقبضوا على ضحية وساقوه إلى الحكام ، وفى اليوم التالى صلبوه ، وما كان هناك من شهيد إلا النساء اللاتى كن « ينظرن من بعيد » .

★

لقد روع التلاميذ بما حدث ، فهذا معلمهم قد أختفى فجأة وكذلك أختفى يهوذا الخائن ، وحدثت واقعة صاب لم يكونوا شهودها ، وتفرق كل واحد منهم فرارا من اضطهاد مؤكد .

ومرت أيام وأسابيع وشهور ، حاول فيها التلاميذ والأتباع تضميد الجراح ولم الشمل وتجاوز المحنة ، ومن ثم نشطوا لنشر الدعوة فى أرجاء العالم الرومانى الوثنى ، هناك اختلطوا بأفراد وشعوب ذات عقائد وفلسفات شتى ، وكان صراع فى كل مكان ، وكان شد وجذب وأخذ وعطاء . .

لقد نقلت تعاليم المسيح شفاها ، وسارت بين الناس - من الاتباع والخصوم على السواء - روايات شتى عن حياته وتعاليمه ، كثيراً ماتعرضت للتعديل بالأضافة أو الحذف ، أو بكليهما معا . حتى إذا انقضت عشرات السنين ، قضى فيها الكثير من التلاميذ والاتباع ، وحفلت بالدخلاء والأدعياء ، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين « الذكريات » التى بقى منها ما يعلق بالأذهان وهكذا بدأت كتابة الأناجيل .

*

يقول تشارلز دود : « من الأمور التى يغلب التسليم بها ، أنه كانت هناك فترة اعتقدت فيها الكنيسة أن الصلب لم يكن سوى كارثة استعوضت بالقيامة وأن الانطباعات اللاحقة فقط هى التى وجدت فيه شيئا ذا معنى . من المستحيل أن ننكر أن هذا ما قد كان ..

إن أقصى مرحلة مبكرة نستطيع الوصول إليها بما لدينا من شهادات ، ترينا أن يسوع قد أعتقد فيه أنه العبد المذكور فى اشعياء ٥٢ : ١٣-٥٣ : ١٢ ، والذى يكون موته بطاعة كاملة لله ، فدية عن كثيرين »(٥٤) .

ولقد وضعت نظريات مختلفة لتبرير الصلب ، وتحويله من الصورة التى علقت فى ذهن الكثيرين بأعتباره هزيمة لحقت بصاحب الدعوة ، إلى انتصار ليس له من دليل سوى روايات القيامة .

وجد بعض قدامى المسيحيين فى ذلك كل الجد ، حتى أن شخصا مثل بولس لم ير فى دعوة المسيح شيئا غير الصلب .

**

بولس وفكرة فداء المسيح

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروج لها فى رسائله - تلك الرسائل التى لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاما . فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على إلا

---

(٥٤) المرجع ٩ - ص ١٢٣ .

يعرف من المسيحية شيئا غيره . وهو يقرر ذلك فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، حيث يقول :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا - ٢ : ٢ » .

ولقد كان ذلك هو ما قبله بولس ، وإنجيله الذى ذهب يبشر به :

« أعرفكم أيها الأخوة بالأنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه .. **فانى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا** أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ١٥ : ١-٣ » .

ويبنى بولس نظريته هذه على أساس يرفضه المسيح رفضا تاما - ذلك أن بولس يقول :

« إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب - غلاطية ٢ : ٢١ » .

*

فإذا رجعنا إلى مايقوله المسيح عن الناموس ، لوجدنا فيه البر الذى لاينكر - فهو يقول :

« لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل .

فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات - متى ٥ : ١٧-١٩ » .

وكذلك يذكر لوقا بحزم على لسان المسيح أن « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس - ١٦ : ١٧ » .

ومنذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم له بين الناس ، وهو يدعو إلى التمسك بالناموس والحرص عليه :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وأفعلوه .** ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون

— متى ٢٣ : ١—٣ .

ولقد كانت حملة المسيح عنيفة على الكهنوت اليهودى الذى ادعى الحفاظ على الناموس بتمسكه فقط بالمظاهر والشكليات ، فاختنق بذلك المدخل الموصل إلى ملكوت السموات ، الا وهو الأخذ بتعاليم الناموس نصا وروحا ، تلك التعاليم التى بين المسيح جوهرها ، وهو : الحق والرحمة والإيمان . « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون ..

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون . وتركتم **أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان** . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك — متى ٢٣ : ١٣—٢٣ » .

*

ويستطيع دارس الأسفار المقدسة أن يصل فى سهولة ويسر إلى نتيجة محددة تقول : أن البر هو الإيمان بالله والعمل الصالح ، وأنه وجد أبرار منذ بدء الخليقة ومن قبل أن يأتى موسى بالناموس ، ومن بعد ما جاء به ، فتبرر به الكثيرون . والشواهد على ذلك كثيرة ، منها :

« **كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله** — تكوين ٦ : ٩ » .

« **وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه** — تكوين ٥ : ٣٤» .

ويؤكد الإنجيل على لسان المسيح أن البر هو العمل الصالح قولا وفعلا : « الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور .

ولكنى أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين **لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان** — متى ١١ : ٣٥—٣٧».

*

مما سبق يتبين أن نظرية بولس فى سفك دم المسيح ليس لها من أساس فى تعاليم المسيح وتلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه، وما كان بولس واحداً منهم .

لكنه بولس الذى قال عن نفسه ، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس :

« أظن أنا أيضاً عندى روح الله — ٧ : ٤٠ » .

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ٦ : ١٢، ١٠ : ٢٣ » .

ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة ٦ : ٣ » .

وهو بولس الذى قال عن الله :

« الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله — ٢ : ١٠ » .

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس ٥ —١ : ٢٥» .

وهو بولس الذى جعل المسيح لعنة بصلبه ، وذلك كنتيجة حتمية لنظريته فى القتل وسفك الدم .

« المسيح أفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا .

لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة — غلاطية ٣ : ١٣ » .

ثم هو بولس الذى اعترف صراحة بعجزه عن الفكاك من أسر خطاياه الجسدية التى تقوده إلى الشقاء :

« لست أعرف ما أنا أفعله اذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فاياه أفعل ..

إنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شىء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن **أفعل** الحسنى فلست أجد .

لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل .. لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .

ويحى أنا الإنسان الشقى : من ينقذنى من جسد هذا الموت — روميه ٧ : ١٥—٢٤ » .

★ ★

تنبؤات المسيح بآلامه

لقد تأثرت الأناجيل — التى كتب أقدمها ، وهو إنجيل مرقس ، بعد أن بدأ بولس كتابة رسائله بأكثر من ١٥ سنة — بنظرية سفك دم المسيح فدية عن كثيرين .

ولما كان من المتوقع أن يتحدث المسيح عن آلامه ورفضه باعتبارها ظواهر اقترنت دائما بحمل رسالات السماء ، فانا نجد انجيل مرقس يضع ما يمكن اعتباره أساسا لكل ما قيل عن التنبؤات بالآلام المرتقبة ، والتى تطور الحديث عنها حتى خلق منها تنبؤات من ظواهر الأحداث التى وقعت .

فحين سأل التلاميذ المسيح عما يثيره الكهنوت اليهودى ضده من شكوك ، استناداً لما تقوله الكتب من ضرورة مجىء المسيح ، قالوا : « لماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟

فأجاب وقال لهم أن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء .. لكن أقول لكم أن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه » .

وهنا تنبأ المسيح لتلاميذه بما ينتظره من آلام فبين لهم « كيف هو **مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيرا ويرذل** — مرقس ٩ : ١١—١٣ » .

ولما كان إنجيل مرقس مصدراً رئيسيا لمتى ، فإنه نقل هذه الفقرة فى ١٧ : ١٠—١٣ ، مع ادخال بعض التعديلات البسيطة ، مثل قوله عن آلام المسيح : « **كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم** » .

كذلك بين متى أن المقصود بايليا هو يوحنا المعمدان ، إذ قال :

« حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وينقل لوقا ما قيل عن آلام المسيح بعد تخليصه من المشاكل التى تحيط به فى الفقرة السابقة فيقول :

« قال للتلاميذ ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون .. **ولكن ينبغى أولا أن يتألم كثيرا ويرفض من هذا الجيل** — لوقا ١٧ : ٢٢ ، ٢٥ » .

*

وتثير الفقرة السابقة — كما جاءت فى مرقس ومتى — بعض المشاكل منها :

« أن العهد القديم لا يحتوى على أى أشارة تفيد أن إيليا سيرفض عند عودته ..

كما أن الكنيسة الأولى كانت منقسمة على نفسها بالنسبة لهذه المسالة (التى تعتبر إيليا جاء فى شخص يوحنا المعمدان تحقيقا لنبؤة ملاخى) ، ويتضح ذلك مما فى إنجيل يوحنا ١ : ٢١» (٥٥) .

فنبؤة ملاخى التى احتج بها الكهنوت اليهودى ضد المسيح ، وأثارت تساؤلات بين تلاميذه — تقول :

« هأنذا أرسل اليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم والمخوف . فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى واضرب الأرض بلعن — ملاخى ٤ : ٥ — ٦ » .

وفى الفقرة السابقة — التى تعتبر أساس التنبؤات بآلام المسيح — نجد أن كلا من متى ومرقس قد ذكر — الأول صراحة والثانى : ضمنيا — أن المسيح قال لتلاميذه أن ايليا جاء فى شخص يوحنا المعمدان . ومع أن لوقا لم يذكر ذلك عند الكلام عن آلام المسيح — ابن الإنسان — فى ١٧ : ٢٥ ، إلا أنه قد أكد نفس المعنى فى مقدمة انجيله حين تكلم عن بشارة الملاك لزكريا بمولد ابنه يوحنا (المعمدان) فقال :

---

(٥٥) المرجع ٦ — ص ٢٤١ .

« أنه يكون عظيما أمام الرب وخمراً ومسكرا لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس . ويرد كثيرين من بنى اسرائيل إلى الرب الاههم. **ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته** ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعبا مستعدا — ١ : ١٥—١٧ » .

فما سبق يتبين أن مرقس ومتى ولوقا ، اتفقوا على أن إيليا جاء فى شخص يوحنا المعمدان . لكن يوحنا ينفى ذلك نفياً قاطعا ، فيقول :

« وهذه شهادة يوحنا (المعمدان) حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت :

فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح .

فسألوه : إذن ماذا ؟ **إيليا أنت ؟.**

فقال لست أنا .

النبي أنت ؟ فأجاب لا . . .

فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت **لست المسيح ولا إيليا ولا النبي** — يوحنا ١ : ١٩—٢٥ » .

*

وإذا تركنا مشاكل الفقرة المشار إليها جانبا ، وعدنا إلى ما ترويه عن تنبؤ المسيح بآلامه — أو بالأحرى توقعاته لوجدناها تقول :

ينبغى للمسيح ابن الإنسان « أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل » .

ولقد تطور هذا التنبؤ — أو التوقع — حتى صار تنبؤا بصلب المسيح كما ذكر متى فى قوله على لسان المسيح :

« ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت .

ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه — ٢٠ : ١٨—١٩ » .

وجدير بالذكر أن إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد(٥٦) الذى نسب للمسيح تنبؤه بالقتل صلبا ، كما أنه سبق أن طور ما قيل عن « آية يونان » حتى جعلها نبؤة عن موت المسيح ودفنه فى بطن الأرض ثم قيامته فى اليوم الثالث .

فلقد بدأت « آية يونان » بقول مرقس :

« خرج الفريسيون* وابتدأ يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه. فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية .

الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية — مرقس ٨ : ١١—١٢ » .

ولقد طورها لوقا فقال :

« وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول هذا الجيل شرير . يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى .

لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل — لوقا ١١ : ٢٩—٣٠ » .

أما متى فإنه ذهب بها إلى آخر المدى ، فلقد حولها — بما قدمه من إضافات وتعديلات إلى نبوءة خاطئة ، وذلك حين قال :

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية .

فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولاتعطى له آية الا آية يونان النبى .

لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال — متى ١٢ : ٣٨—٤٩ » .

ولقد بينا خطأ هذه النبوءة ، عند الكلام عن : « تنبؤات لم تتحق »

---

(٥٦) المرجع ٧ — ص ٣٢٣ .

* راجع ص ١٠٠

إذ أن المصلوب لم يبق فى قلب الأرض - حسبما تذكره الأناجيل - أكثر من يوم واحد وليلتين على أحسن الفروض .

*

يبقى بعد ذلك ماينسب للمسيح من قول : أن ابن الإنسان سوف يتألم كثيراً ويرفض من جيله . ماذا يعنى هذا القول ، ومايشابهه من الأقوال التى اعتبرت تنبؤات للمسيح بآلامه ؟

يقول تشارلز دود : « لقد سجلت أقوال بان يسوع تنبأ بأن الآلام تنتظره هو وتابعيه ، وغالبا ما استحسن ذلك الاعتقاد فى أن الأنذار بموته - وهو القول الذى تكرر ذكره منسوبا ليسوع فى الأناجيل - انما هو تنبؤ خرج من واقع الأحداث ، أى بعد وقوعها .

إن رجال الكنيسة لم يستطيعوا الاعتقاد بأن ربهم كان جاهلا بما كان ينتظره ويمكن التسليم صراحة بأن دقة بعض هذه التنبوءات قد ترجع إلى ما عرفته الكنيسة من حقائق فيما بعد .

ويجب أن نلاحظ :

١ - أن كل التنبوءات وأحاديث الرؤيا - التى عرفها يسوع بالتأكيد - قد توقعت المحن لشعب الله ، قبل تحقيق الانتصار النهائى للخير .

٢ - وأن تاريخ قرون كثيرة مضت ، قد رسخ بعمق الفكرة القائلة بأن على النبى أن يتحمل الآلام ، كجزء من رسالته .

٣ - وأن موت يوحنا المعمدان قد بين أن ذلك المصير لا يزل جزءا من دعوة النبوة .

٤ - وأن ذلك التوقع لم يكن محتاجا لعلم بالغيب خارق للطبيعة ، لكنه كان فى حاجة إلى البصيرة العادية لشخص ذكى يرى إلى أين تتجه الأحداث على الأقل أثناء المراحل الأخيرة من الدعوة . .

وأن سياق الكلام للفقرات التى تتكلم عن اضطهادات (أتباع يسوع) تترك إمكانية الشك فيما إذا كانت الآلام المتوقعة ستحدث فى الحال أم فى وقت لاحق . وعلى سبيل المثال نجد فى إنجيل متى مجموعة من هذه التنبوءات قد ذكرها فى المهمة التى كلف بها التلاميذ عند ما أرسلوا للوعظ والشفاء :

(ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من أجل اسمى . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص — ١٠ : ١٧ — ٢٢)

وكذلك فى الخطبة الأخيرة التى ذكرها إنجيل مرقس تماما قبل وفاة يسوع (١٣ : ٩ — ١٣) .

وقد فهمت الحالة الأخيرة على أنها إشارة إلى اضطهاد الكنيسة ، كما سجله سفر أعمال الرسل وغيره .

أما الانطباع من الحالة الأولى ، فهو أن الاضطهاد قد يحدث فى أى وقت ، وربما عندما كان التلاميذ خارجين لأداء مهمتهم .

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة لتحمل الآلام قد وردت فى عدة فقرات من إنجيل مرقس ولوقا مصحوبة بموضوع الرحلة لأورشليم :

(ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم . فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم—مرقس ١٠ : ٣٣ — ٣٥ .

« وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم .. إن كان أحد لا يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا — لوقا ١٤ : ٢٥ — ٢٧) .

وفى الواقع فان الانطباع الذى نخرج به من الأناجيل ككل هو أن يسوع قاد أتباعه إلى المدينة بمفهوم واضح هو أن أزمة تنتظرهم هناك ، وقد يصيبه وأتباعه بسببها آلام مبرحة .

وأن الفقرة المتميزة فى هذا المقام هو ما ذكره مرقس فى ١٠ : ٣٥ — ٤٠ : (وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا . فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما . فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك . فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان .

أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا .

فقالا له نستطيع .فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى اصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا الذين أعد لهم) .

فنجد هنا أن ابنى زبدى قد تأكدا أنهما سيشربان الكأس التى يشربها سيدهم وسيصطبغان بصبغته . إن مفهوم الكلام هنا لاشك فيه إن على التلاميذ أن يشاركوا سيدهم مصيره وبالتأكيد أن يشاركوه ذلك فى المحنة التى تنتظرهم حالا وفى حقيقة الأمر فإن أتباع يسوع لم يشاركوه المصير فى تلك المحنة ..

وبالنسبة للتنبوء بمشاركة الأخوين (ابنى زبدى) لسيدهما فى مصيره فانها تعتبر واحدة من التنبوءات التى لم تتحقق بمعناها الطبيعى . .

وفى إحدى الفقرات نجد يسوع يتكلم عن الآلام المقبلة لتلاميذه فى شكل دعوة لحمل الصليب .

(مرقس ١٣ : ٣٤ ، وقد استرجعت فى متى ١٦ : ٢٤ ، ولوقا ٩ : ٢٣ — وكذلك متى ١٠ : ٣٨ ، ولوقا ١٤ : ٢٧) .

وبما أن الصليب كان هو الوسيلة الوحيدة المألوفة للاعدام تحت حكم الرومان فان ما توحى به تلك الفقرة ، هو أنه أراد تهيئتهم لا من أجل المعاناة فقط ، بل للموت ..

وما من شك فى أنه يمكن قبول الرأى الذى يقول بأن التنبوءات التى نجدها فى الأناجيل ليست أكثر من انعكاس لتجارب الكنيسة الأولى التى تكونت فيها التعاليم المسيحية ، ومن المؤكد أن بعضاً من هذه التنبوءات — على الأقل — قد لونتها تلك التجارب .. وفضلا عن هذا تظهر بعض الآثار لتنبوءات نسبت ليسوع ولم تتحقق »(٥٧)

* *

المسيح يرفض كل محاولة لقتله

منذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم فيها ، نجد الأناجيل تضع لنا ، بين الحين والحين علامات على طريق الرسالة المسيحية ، تذكرنا دائما باستبعادفكرة قتل المسيح مهما وضع من أجل تبريرها من نظريات وفلسفات.

فالمسيح صاحب الدعوة الذى يعلم حقيقتها وحدودها ، أكثر من بولس وغيره من كتبة الرسائل المسيحية ، هو الذى رفض فكرة قتله واستنكرها تماما ، ثم هو قد عمل كثيرا لإحباط جميع المحاولات التى رآها تبذل من اليهود لقتله .

فلقد حدث أن « لما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم . فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم .

---

(٥٧) المرجع ١٠ ـ ص ٤١ ـ ٤٧ .
C.H. Dodd : THE PARABLES OF THE KINGDOM

أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى ..

أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس .

لماذا تطلبون أن تقتلونى ..

أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم . **لكنكم تطلبون أن تقتلونى لأن كلامى لا موضع له فيكم . . لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون** أعمال إبراهيم .

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم - يوحنا ٧ : ١٤-١٩، ٨ : ٣٧-٤٠ » .

★

ولما كان المسيح يخشى على حياته من القتل ، فإنه اتخذ من الاحتياطات ما يجنبه الوقوع فى براثن أعدائه من اليهود :

فقد « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ..

فامتلأ غضباً جميع الذين فى المجمع حين سمعوا هذا . فقاموا وأخرجوه خارج المدينة **وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل . أما هو فجاز فى وسطهم ومضى** - لوقا ٤ : ١٦ - ٣٠ » .

« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه . **فعلم يسوع وانصرف من هناك** - متى ١٢ : ١٤ - ١٥ »

« **فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً فى وسطهم ومضى هكذا** - يوحنا ٨ : ٥٩ »

« **وكان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل لأنه لم يرد أن يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه** - يوحنا ٨ : ١ » .

« **فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . فلم يكن يسوع أيضا يمشى** بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة

يقال لها أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه . وكان فصح اليهود قريبا – يوحنا ١١ : ٥٣ – ٥٥ »

وفى الساعات العصيبة ، أو الساعات الأخيرة للمسيح بين الناس نجده يصرخ بكل قوته طالبا النجاة ، فما كانت فكرة سفك دمه – فدية عن خطايا الكثيرين – إلا سرابا علق برسالته فيما بعد .

إن الذين يرفضون هذا القول ، إنما يلحقون بالمسيح صفات يبرئه منها كل مؤمن وعاقل .

إن الأناجيل ترينا – وخاصة فى الساعات الأخيرة – مواقف حاكمة ، ترفض كلها فكرة قتل المسيح ، وتقطع كل صلة بينها وبين رسالته – ومن هذه المواقف ما يل :

١ – فى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض مباشرة ، كان آخر ما نطق به المسيح فى صلاته ، هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنه المسيح رسول الله – فقال :

« **وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته** » .

ثم أعقب المسيح ذلك مباشرة بتقرير واضح – لا لبس فيه ولا إبهام – بين فيه أن الرسالة التى بعثه الله بها قد اكتملت – فقال :

« أنا مجدتك على الأرض . **العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته** – يوحنا ١٧ : ٣ – ٤ »

لقد اكتملت رسالة المسيح تماماً قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟ ! .

٢ – وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة فى الحديقة برفض المسيح فكرة قتله ، فإذ كان مع تلاميذه :

« **ابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت. امكثوا ها هنا واسهروا ..**

ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن. وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس .. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه .

وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » .

٣ — وحين شعر المسيح بالخطر يقترب منه ، وقوة الظلم تتقدم للقبض عليه ، كانت صيحته لتلاميذه :

« **قوموا ننطلق . هوذا الذى يسلمنى قد اقترب** » .

لقد كان يطلب بإلحاح إلى تلاميذه أن ينهضوا لمعونته فى الانطلاق بعيدا عن المحنة الوشيكة ، إلا أنهم كانوا « نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه » وتركوه وحيداً يعانى آلامه .

٤ — وحين جاءت قوة الظلم ، وتقدم يهوذا ليدلهم على سيده « قال له يسوع : **ياصاحب لماذا جئت** » .

٥ — وفى المحاكمة « إجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أن المسيح فقال لنا .

فقال لهم : أن قلت لكم لاتصدقون . وأن سألت لاتجيبونى ولا تطلقونى — لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٦٨ » .

وهنا نجد أن المسئول لو جاوبهم ، فلن تخرج الأجابة عن أحدقولين ، لاثالث لهما :

الأول — نعم ، أنا المسيح .

الثانى — لا ، لست أنا المسيح .

ومن الواضح أن كل من يؤمن بروايات الأناجيل عن أحداث الصلب ، سوف يرفض حتما الأجابة الثانية .

وبذلك تبقى الأجابة الأولى ، والتى يمكن أن توضع فى الصيغة الآتية :

« فقال لهم : نعم ، أنا المسيح لكنكم لاتصدقون وان سألت لاتجيبونى ولا تطلقوننى . » وسواء وضعت الاجابة الأولى فى الصيغة المقترحة ، أم لم توضع ، فان النتيجة التى لامفر من قبلوها تقول :

بفرض أن الذى يستجوبه الكهنوت اليهودى هو المسيح ، فمن الواضح أنه كان يطلب اطلاق سراحه .

وبذلك لايوجد محل لأى قول يقول : أنه جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين.

ومن الواضح أيضاً أنه باستخدام القول الثانى ، فان اجابة المقبوض عليه يمكن أن تأخذ الصيغة التالية :

« فقال لهم : لا ، لست أنا المسيح (الذى تطلبونه) لكنكم لاتصدقون. وإن سألت (النجاة) لاتجيبونى ولاتطلقوننى » .

وسواء كان هذا أو ذاك فان ماجاء فى هذه المحاكمة يلغى كل ما يقال عن نظرية قتل المسيح .

٦ — ونصل الآن إلى الشهادة الأخيرة التى تنسبها الأناجيل للمصلوب فى الرمق الأخير — ألا وهى : صرخة اليأس على الصليب .

من يسمع قول مصلوب يصرخ إلى ربه « بصوت عظيم قائلا : الوى الوى لما شبقتنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى » — من يسمع هذا ثم يقول أن المسيح :

« بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير » وأنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » .

أو أنه « إذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » .

أو أنه « بعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله . منتظرا بعد ذلك أن توضع أعداؤه موطئا لقدميه » — كما يقول بولس ؟!

*

منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ عام وقف المسيح يعلم الكهنوت اليهودى مشيئة الله ، فقال لهم :

« لوعلمتم ما هو . انى أريد رحمة لاذبيحة » .

وحتى اليوم لايزال الكثيرون مصرين على تجاهل مشيئة الله ، فيرفضون الرحمة ويقبلون الذبيحة ! !

* * *